المحاضرة العاشرة: أنواع المعاجم العربيّة التّراثيّة المتخصّصة

مرّ بنا أنّ المعاجم المتخصّصة، هي تلك المعاجم الّتي تجمع ألفاظ علم أو فن معيّن ومصطلحاته، ثمّ تشرح كل منها حسب استعمال أهله والمتخصّصين به، وأكثر المعجمات العربيّة التّراثيّة لم تكن إلّا مُعجمات خاصّة[1]. ونجد أنّ القدماء قد اهتمّوا بهذا النّوع من المعاجم بما يوافق حياتهم، وطبيعة الفنون والعلوم الّتي سادت عصرهم.

وكانت بداية شيوع هذا النّوع من المعجمات مبكّرة (ق2هـ)، على شكل رسائل صغيرة، تجمع الألفاظ الّتي تدور في فلك أو حول موضع معيّن، مثل: غريب القرآن لابن عبّاس (68هـ) وكتاب المطر لأبي زيد الأنصاري (215هـ) وكتاب الدّارات والنّبات والشّجر للأصمعي (216هـ)، وغير ذلك ممّا سنأتي على بعضه، وعموماً يمكن أن نصنّف المعاجم العربيّة التّراثيّة المتخصّصة، بما يوافق المخطّط التّالي:

المعاجم العربيّة التّراثيّة المتخصّصة

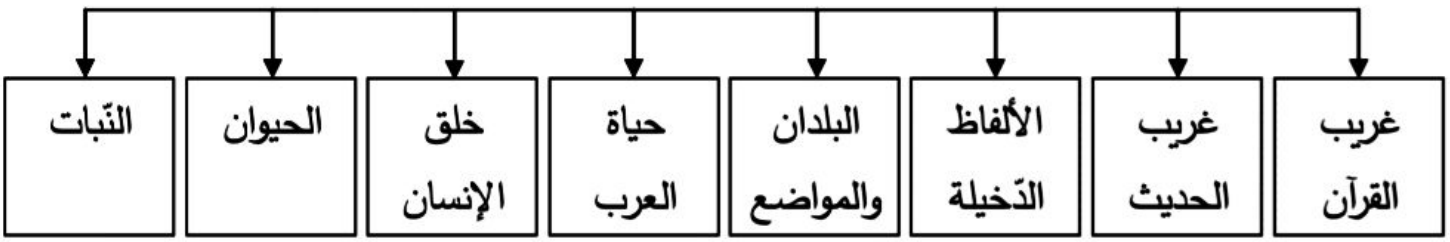

1. غريب القرآن:

تتناول الألفاظ الغريبة والصّعبة في القرآن الكريم، بالشّرح والتّفسير، وأقدم من يُعزى إليه كتاب بهذا العنوان، عبد الله بن عبّاس ﷺ، وقد جمع السّيوطي من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، قائمة منسوبة إلى ابن عبّاس تفسّر كلمات مرتّبة على سور القرآن وآياته. وممّن ألّف في غريب القرآن أيضاً، نجد[2]: أبو سعيد أبّان بن تغلب بن رباح البكري (141هـ)، أبو غيد مؤرج السدوسي (174هـ)، أبو محمّد يحي بن المبارك اليزيدي (202هـ)، النّضر بن شميل (203هـ)، أبو عبيدة معمّر بن المثنّى (210هـ)، الأخفش الأوسط (221هـ)، أبو عبيد القاسم بن سلّام (422هـ)، محمّد بن سلّام الجمحي (231هـ)، وغيرهم كثير.

ويمكن أن نقدّم نموذجاً لذلك، بغريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب، للإمام أبي بكر محمّد بن عزيز السّجستاني (330هـ)، الّذي رتّبه وفق حروف المعجم (ألف بائي)، يبدأ بالألف المفتوحة ثمّ المضمومة ثمّ المكسورة، وهكذا في الباء والتّاء و...، مع مراعاة ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، كما يظهر في النّموذج التّالي[1]:

باب الهمزة المفتوحة

(الٓمٓ) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور : كان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور ، تعرف كل سورة بما افتتحت به .

وبعضهم يجعلها أقساماً ، أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها ، ولأنها مبادىء كتبه المنزلة ، ومباني أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، بعضهم يجعلها حروفاً مأخوذة من صفاته عز وجل : كقول ابن عباس في (كهيعص) : إن الكاف من كاف ، والهاء من هادٍ ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق .

(أأنذرتهم) : أأعلمتهم بما تحذّرهم[1] ، ولا يكون المُعْلِم مُنْذِراً حتى يحذّر بإعلامه ، فكل منذر مُعْلِم . وليس كل معلم منذراً .

(أنداداً) : أمثالاً ونظراء ، واحدهم ند ونديد .

(أزلّهما الشّيطانُ) : أي استزلهما[2] يقال : أزللته فزلّ . وأزالهما نحّاهما[3] ، يقال : أزلته فزال .

(آلَ فِرْعَوْنَ) : قومه وأهل دينه .

(آياتٌ) : علامات وعجائب أيضاً ، وآية من القرآن : كلام متصل إلى انقطاعه ، وقيل معنى آية من القرآن : أي جماعة حروف ، يقال : خرج القوم بآيتهم : أي بجماعتهم (قال الشاعر) :

2. غريب الحديث:

تتناول الألفاظ الغريبة والصّعبة في الحديث النّبوي الشّريف، بالشّرح والتّفسير، ومن أشهر ما كتب في ذلك نجد: أبو عبيدة معمر بن المثني (209هـ)، أبو الحسن النّضر بن شميل المازني (203هـ)، عبد الملك بن قريب الأصمعي (216هـ)، محمد بن المستنير المعروف بقطرب (209هـ)، أبي عبيد الله القاسم بن سلام (224هـ)، بي محمد عبد الله بن مسلم قتيبة الدّينوري (276هـ).

ومن غريب ابن قتيبة، أخذنا النّموذج التّالي، من الباب الأوّل "ذكر الألفاظ في الفقه والأحكام واشتقاقها"، والّذي يصدّره بالوضوء[1]:

3

الـوضـــوء

الوضوء(١) للصلاة :

هو من الوَضاءة ، والوضاءة النَّظافة والحُسْن ، ومنه قيل : فلان وضيء الوجه ، أي : نظيفُه وحسَنُه ، فكأنَّ الغاسل لوجهه وضَّأه ، أي : نَظَّفه بالماء وحسَّنه ، ومن غسل يده أو رِجْلَه أو عضواً من أعضائه أو سكَّن من شَعَث(٢) رأسه بالماء فقد وضَّأه .

والوضوء الذي حدَّه الله تعالى(٣) في كتابه للصلاة ، هو غَسْل الوجوه والأيدي الى المرافق ، والمسح بالرؤوس(٤) والأرجل ، والغَسْل للرِجْل وغيرها يُسَمّى مَسْحاً ، خبَّرنا بذلك سهل(٥) بن محمد عن أبي زيد الانصاري [٣/ب] قال : وقال ، أَلا تَرى أنك تقول تمسَّحْت للصلاة ، اذا توضَّأت لها ، وانَّما سُمّي الغُسْل مَسْحاً ، لأن الغسل

3. الألفاظ الدّخيلة والنّوادر:

تتناول الأولى (الدّخيل) الألفاظ غير عربيّة الأصل، والّتي أُدخِلت إلى اللّغة العربيّة من الأقوام والشّعوب الأجنبيّة، مثل الرّوم والفرس، وتمّ تعريبها، فتتناولها بالشّرح وتبيّن أصلها، ومن أشهرها شفاء الغليل شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (1069هـ)، والمعرب من الكلام الأعجمي لموهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي.

وقد رُتّب المؤلَّفان على حروف الهجاء (ألف باء)، ومن أمثلة ما جاء فيها نورد[2]:

حرف الألف

(إبراهيم): فيه لغات إِبْرَاهَامُ وإِبْرَاهِيم وإِبْرَهَمُ وإبراهُم.

(إسماعيل): ويقال اسماعين بالنون. . . قال: [من الرجز]:

قَالَتْ جَوَارِي الحَيِّ لَمَّا جِينَا ... هَذَا وَرَبِّ البَيْتِ إِسْمَعِينَا(١)

قال السبكي: ويستحب لِمَنْ رُزِقَ ولداً في الكِبَرِ أن يسميه إسماعيل آقتداء بالآية(٢)؛ ولأن معناه عطية الله(٣).

(آنش): ابن شيث أعجمي. قال السهيلي: «وهو أول من غرس النخل وبذر وبوّب الكعبة».

وتتناول كتب النّوادر ألفاظ وتعبيرات واستعمالات غريبة لا تجري على القواعد المعروفة، ولا على اللّغة المألوفة الشّائعة، ومنها: نوادر أبي زيد، قطرب، الفرّاء، الأصمعي وغيرهم.

ومن المنتخب من غريب كلام العرب، لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النّمل (310هـ)، نقدّم النّموذج التّالي[1]:

بَابُ مَا لَهُ اسْمَانِ فَصَاعِداً مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ دُونَ الصِّفَاتِ

يُقَالُ لِلرَّأْسِ : الضَّرِيبُ لِكَثْرَةِ اضْطِرَابِهِ ، وَالتَّحْمَاسُ(١) فِي لُغَةِ حِمْيَرَ ، وَيُقَالُ لِجَانِبَيْهِ : الفَوْدَانِ ، وَالمِذْرَوَانِ ، والقَرْنَانِ .

وَيُقَالُ لِلْهَامَةِ : المِلْطَاطُ ، وَالصَّوْقَعَةُ ، والمَرْقَى ، والعَامَةُ ، وإِنَّمَا يُقَالُ لِلْهَامَةِ العَامَةُ إِذَا بَدَا لَكَ الرَّاكِبُ مِنْ بَعِيدٍ فَرَأَيْتَ هَامَتَهُ قُلْتَ : عَامَتَهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أُسَمِّيهَا عَامَةً حَتَّى تَكُونَ عَلَيْهَا عِمَامَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الهَامَةُ والعَامَةُ وَاحِدٌ : أُبْدِلَتِ الهَاءُ عَيْناً لِقُرْبِ المَخْرَجَيْنِ .

4. حياة العرب:

معاجم تصف ما عرفته العرب في حياتها اليوميّة والاجتماعيّة، كتسميّة الأيّام والشّهور والسّلاح والمطر ...، وممّا ألّف في ذلك: الأيّام واللّيالي والشّهور لأبي زكريا يحي بن زياد الفرّاء (207هـ)، كتاب المطر لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (215هـ)، كتاب السّلاح الأصمعي، كتاب البئر لأبي عبد الله محمّد بن زياد الأعرابي (231هـ)، كتاب السّرج واللّجام لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، كتاب الرّيح لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني (370هـ). وممّا جاء في كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري[2]:

قَالَ أَبُو زَيْدٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ : قَالَ ٱلْقَيْسِيُّونَ : أَوَّلُ ٱلْمَطَرِ ٱلْوَسْمِيُّ [وَأَنْوَاؤُهُ ١ ٱلْعَرْقُوَتَانِ ٱلْمُؤَخَّرَتَانِ مِنَ ٱلدَّلْوِ ثُمَّ ٱلشَّرَطُ ثُمَّ ٱلثُّرَيَّا وَبَيْنَ كُلِّ نَجْمَيْنِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً] ، ثُمَّ ٱلشَّتْوِيُّ بَعْدَ ٱلْوَسْمِيِّ [وَأَنْوَاؤُهُ ٱلْجَوْزَاءُ ثُمَّ ٱلذِّرَاعَانِ وَنَثْرَتُهَا] ، ثُمَّ ٱلْجَبْهَةُ وَهِيَ آخِرُ ٱلشَّتْوِيِّ وَأَوَّلُ ٱلدِّفْءِ [وَأَنْوَاؤُهُ آخِرُ ٱلْجَبْهَةِ وَٱلْعَوَّاءُ] ، ثُمَّ ٱلصَّرْفَةُ وَهِيَ فَصْلٌ بَيْنَ ٱلدِّفْءِ وَٱلصَّيْفِ ، ثُمَّ ٱلصَّيْفُ [وَأَنْوَاؤُهُ ٱلسِّمَاكَانِ ٱلْأَوَّلُ ٱلْأَعْزَلُ وَٱلْآخِرُ ٱلرَّقِيبُ وَمَا بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ صَيْف

4

5. أنواع أخرى:

ويضاف لما سبق مؤلّفات أخرى عديدة، لمعاجم لغويّة خاصّة، لمجالات عدّة من حياة العرب، أهمّها:

ـ معاجم للبلدان والمواضع؛ تضمّ الأقاليم والمناطق والقبائل العربيّة، كمعجم الأصمعي: مياه العرب وجزيرة العرب والدّارات.

ـ معاجم خلق الإنسان؛ من حيث أسماء أعضاءه، ومراحل عمره وألوانه وصفاته، ومن أشهر ما ألّف فيها: خلق الإنسان للأصمعي، وخلق الإنسان لأبي محمّد ثابت بن أبي ثابت الكوفي، وخلق الإنسان لأبي إسحاق إبراهيم الزّجاج.

ـ كتب الحيوان؛ كتب الخيل والإبل والشّاء للأصمعي، الخيل لأبي عبيدة ...، كما خصّت الحشرات والزّواحف والهوام، بكتب منفصلة كما فعل أبو عبيدة والأصمعي وأبو عمرو الشّيباني وبو خيرة الأعرابي.

ـ كتب النّبات؛ تذكر أنواعه، وتصف أطوار نمائه، وثماره. مثل: كتاب النّبات والشّجر للأصمعي، كتاب النّبات للدّينوري، كتاب النّخل للسّجستاني.

والجدير بالذّكر هنا هو أنّ كثير من هذه المصنّفات فقدت، ولا نجد منها اليوم إلّا ما أدرج في أبواب وفصول معاجم الموضوعات العامّة الموسوعيّة، كالغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلّام، الألفاظ لابن السكّيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني، ومبادئ اللّغة للإسكافي، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، فقه اللّغة للثّعالبي.